المضامين التفسيرية في قول الله تعالى:

{شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾} [سورة آل عمران:١٨]

الباحثة: د. تهاني بنت سالم أحمد باحويرث

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى

tsbahwirth@uqu.edu.sa

الملخص: يهدف البحث إلى بيان مفهوم المضامين التفسيرية، والوقوف على معاني الآية الكريمة، وأقوال المفسرين فيها، وبيان المناسبة بين موضوعات الآية الكريمة وغيرها من الآيات في سورة آل عمران، والإشارة إلى حقيقة التوحيد وأهميته، وبيان فضل الملائكة وأولي العلم، والإشارة إلى الصفات العلى الواردة في الآية، وجمع الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية، من كتب العلماء والمفسرين، ومما ظهر أثناء القراءة والتدبر.

خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد بينت فيه مفهوم المضامين التفسيرية، وثلاثة مباحث، الأول: بيان معنى الآية ومناسبتها لآيات السورة، الثاني: موضوعات الآية، الثالث: الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية، وختمت البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات، وفهرس للمصادر والمراجع.

أهم النتائج: المضامين التفسيرية هي كل ما تشتمل عليه الآيات والسور من المعاني والموضوعات والدلالات، شهد الله تعالى لنفسه بالوحدانية في الآية، شهد الملائكة وأولو العلم لله تعالى بالوحدانية في الآية، بينت الآية حقيقة التوحيد، أشارت الآية إلى فضل الملائكة وأولو العلم من عدة أوجه، أثبتت الآية بعض الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى، تضمنت الآية الكثير من الدلالات والهدايات والتوجيهات.

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن، الشهادة، الهدايات، التدبر، الاستنباط.

المضامين التفسيرية في قول الله تعالى: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾}

د. تهاني بنت سالم باحويرث

Explanatory Content in God's Almighty Words:

{شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾}

Tahani Salem Ahmad Bahwirth
Associate professor At Umm Al-Qura University
tsbahwirth@uqu.edu.sa

Summary:
This research aims to describe the concept of interpretative content, see the meaning of the dignified verse, and the words of the interpreters therein. Moreover, indicate the appropriateness of the subjects of the dignified verse and other verses in Sura al-Imran, to refer to the truth of unification and its significance, indicate the preference of angels and people of science, refer to the higher qualities in the verse, and collect the connotations drawn from the verse. The research included an introduction and a prelude in Research Plan: which the concept of interpretative content, in addition to three investigations, the first: a statement of the meaning and relevance of the verse to the Holy Scripts, the second: the subjects of the verse, the third: connotations drawn from the verse, and the conclusion of the research by mentioning the most important findings and recommendations, and an index of sources and references.
The most important results: interpretative content is all the meanings, themes and connotations of verses and secrets Almighty God has witnessed to himself unity in the verse, the angels and people of science have witnessed unity to God in the verse. The verse illustrated the reality of uniformity, referring to the preference of angels and people of science in several ways. The verse proves some good names and qualities of God Almighty.
.Keywords: Quran interpretation, testimony, contemplation, deduction

المضامين التفسيرية في قول الله تعالى: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾}

د. تهاني بنت سالم باحويرث

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد جاءت آيات القرآن الكريم مستفيضة بالمعاني والعظات والهدايات والدلالات والحكم البالغات، قال تعالى: {هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} [سورة آل عمران:١٣٨]، وقال سبحانه: {قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾} [سورة المائدة:١٥-١٦]، ولا سبيل إلى استخراج هذه المعاني والعظات والتوجيهات والوصول إليها إلا بتدبر آيات القرآن الكريم والتفكر في معانيها، "فقراءة آية بتفكر وتفهُّم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفعُ للقلب، وأدْعى إلى حصول الإيمان، وذَوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السّلف "[(١)]، فإن إيضاح المعاني وإبراز الدلالات ثمرة التدبر في كتاب الله عز وجل، والواجب " على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبارته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه "[(٢)]، والقرآن الكريم كتاب منزل من لدن حكيم خبير لا تنقضي عجائبه، ولا تنضب فوائده، وقد أجلت نظري في كتاب الله تعالى فاستوقفتني شهادة الله لنفسه وشهادة الملائكة وأولي العلم له سبحانه بالوحدانية، مجتمعة مع إثبات القيومية والعدل والعزة والحكمة له تبارك وتعالى، وبعد التأمل والتدبر لمعاني الآية وجدتها واسعة الدلالات، متعددة الموضوعات، فأحببت بيان مضامينها وإيضاح معانيها واستنباط هداياتها في بحث أسميته: (المضامين التفسيرية في قول الله تعالى: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (١/١٨٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١/٢).

ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨])، أسهم فيه بإذن الله بإبراز بعض من وجوه معاني آيات القرآن الكريم وموضوعاته، وطرف من حكمه ودروسه وهداياته.

مشكلة البحث:

على الرغم من عناية المفسرين من السلف والخلف بكتاب الله تعالى، واجتهادهم في تفسير آياته، وبيان معانيه، واستخراج حكمه وأحكامه، إلا أن إبراز الموضوعات، واستنباط الدلالات والإرشادات لم تكن المقصد الرئيس لكثيرٍ من المفسرين، لذا كانت الحاجة ماسة إلى بيان معاني آيات القرآن الكريم وإبراز موضوعاتها واستنباط هداياتها، لما لذلك من أهمية في إيضاح المعنى والتأكيد عليه، وزيادة الإيمان، وترسيخ القيم والأخلاق.

أسباب اختيار الموضوع:

١-الحاجة إلى دراسات دقيقة تُعنى بإبراز معاني آيات القرآن الكريم، لفهم مراد الله تعالى، والوصول إلى التدبر المأمور به.

٢- أهمية الكشف عن موضوعات آيات القرآن الكريم وهداياتها.

٣-الحاجة إلى ربط موضوعات آيات القرآن الكريم بواقع المسلمين في العصر الحاضر من خلال إيضاح المعاني والدلالات.

٤- عدم وجود دراسة تفسيرية تُعنى بهذه الآية حسب بحثي في قواعد البيانات المختلفة.

أهمية البحث:

١-اشتمال الآية موضع الدراسة على المعاني الجليلة التي تحتاج إلى إيضاح وبيان لأقوال العلماء والمفسرين فيها.

٢- أهمية الموضوعات والقضايا التي اشتملت عليها الآية.

٣- أهمية الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية، التي جمعتها من عددٍ كبيرٍ من كتب التفسير وعلوم القرآن، واستنبطتها من معاني الآية وموضوعاتها، بهدف الوصول إلى الاستفادة من مضامين الآية.

أسئلة البحث:

١-ما مفهوم المضامين التفسيرية؟

٢-ما المعاني التي تضمنتها الآية؟

٣-ما مناسبة الآية الكريمة لآيات سورة آل عمران؟

٤- ما الموضوعات التي اشتملت عليها الآية؟

٥-ما الهدايات والفوائد المستنبطة من الآية؟

أهداف البحث:

١-بيان مفهوم المضامين التفسيرية.

٢-الوقوف على معاني الآية الكريمة، وأقوال المفسرين فيها.

٣-بيان المناسبة بين موضوعات الآية الكريمة وغيرها من الآيات في سورة آل عمران.

٤-بيان حقيقة التوحيد وأهميته.

٥-بيان فضل الملائكة وأولي العلم.

٦-الإشارة إلى الأسماء الحسنى الصفات العلى الواردة في الآية.

٧- جمع الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية، من كتب العلماء والمفسرين، وما ظهر أثناء القراءة والتدبر.

٨-بيان أثر هذه الهدايات في إيضاح معنى الآية، وإبراز موضوعاتها.

حدود البحث:

المضامين التفسيرية في قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

د. تهاني بنت سالم باحويرث

تناول البحث دراسة الآية الثامنة عشر من سورة آل عمران، وبيان معانيها، وإبراز موضوعاتها، والكشف عن هداياتها.

منهج البحث:

اتبعت في دراستي لهذه الآية المناهج التالية:

المنهج الاستقرائي: بالاطلاع على كتب التفسير وعلوم القرآن، وغيرها من الكتب التي تطرقت للحديث عن موضوعات الآية الكريمة.

المنهج التحليلي: بدراسة معاني ألفاظ الآية، وتفسيرها.

المنهج الاستنباطي: بالنظر في معاني الآية والتدبر في موضوعاتها، واستخراج ما فيها من الإرشادات والدلالات.

- وأما إجراءات البحث فكانت كالتالي:

- رجعت إلى عددٍ كبيرٍ من كتب العلماء والمفسرين لتوضيح معنى الآية، والتعرف على موضوعاتها، واستخراج دقائق هداياتها ودلالاتها.
- عمدت عند بيان معاني مفردات الآية إلى تجنب الأقوال الشاذة والمرجوحة في التفسير.
- تتبعت ترتيب ألفاظ الآية في استخراج الموضوعات واستنباط الدلالات.
- كتبت الآيات بالرسم العثماني، مع بيان اسم السورة ورقم الآية.
- عزوت الأحاديث إلى مظانها بذكر اسم الكتاب، والجزء، ورقم الصفحة، ورقم الحديث إن وجد، مع بيان حكم أهل الحديث عليه.
- وثقت نصوص المفسرين والعلماء من المصادر الأصيلة.

- وضعت علامة التنصيص " " عند نقل نص أحد المصادر، وتركت ذلك عند نقل مفهوم الكلام ومعناه، أو عند التصرف في النص، مع الإشارة إلى المرجع في الحاشية.
- ذكرت المراجع في آخر كل صفحة، مرتبة بحسب الوفيات، بذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم الجزء والصفحة، مع ذكْر تفاصيل الطباعة والنشر في فهرس المراجع.

الدراسات السابقة:

لم أجد من أفرد هذه الآية بالبحث سوى دراسة واحدة كانت بعنوان: (شهادة الله لنفسه بالوحدانية في القرآن الكريم: دراسة عقدية حول قوله تعالى: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ})، للباحث: د. إبراهيم الحماد، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد ١٥، ٢٠١٤م.

تحدث عن تعريف الشهادة لغة واصطلاحا، وأنواع شهادات الله في القرآن الكريم، ومعنى شهادة الله سبحانه لنفسه في الآية، ومعنى شهادة الملائكة وأولو العلم، وذكر مراتب شهادة الله لنفسه وطرق بيانها.

وهي كما يدلّ عنوانها دراسة عقدية تتقاطع مع دراستي في بيان معنى الشهادات الواردة في الآية، ولم تتحدث عن المعاني الأخرى في الآية الكريمة كالمراد بأولي العلم، ومعنى القيام بالقسط، ومعنى العزيز الحكيم، ولم تُشرْ إلى موضوعات الآية وهداياتها العامة والدقيقة المستنبطة منها، كالإشارة إلى فضل العلم وأهله الوارد في الآية، والحكمة من الجمع بين التوحيد والعدل في الآية، وسبب تكرار لفظ التوحيد في الآية، واقتران صفة العزيز بالحكيم في الآية، ومناسبتها لمعنى الآية، وغيرها من موضوعات تناولتها في دراسة تفسيرية توضح معنى الآية ومناسبتها للسورة، وتكشف عن مضامينها ودلالاتها.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: اشتملت على مشكلة البحث، وأسباب اختياره، وأهميته، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث، والكتابة.

التمهيد: اشتمل على بيان مفهوم المضامين التفسيرية.

المضامين التفسيرية في قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

د. تهاني بنت سالم باحويرث

المبحث الأول: بيان معنى الآية ومناسبتها لآيات السورة، وفيه مطالب:

المطلب الأول: بيان معاني مفردات الآية.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للآية.

المطلب الثالث: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها من آيات.

المبحث الثاني: موضوعات الآية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: بيان حقيقة التوحيد.

المطلب الثاني: بيان فضل الملائكة.

المطلب الثالث: بيان فضل العلم وأهله.

المطلب الرابع: إثبات صفة القيومية لله تعالى.

المطلب الخامس: إثبات صفة العدل لله تعالى.

المطلب السادس: إثبات صفتي العزة والحكمة لله تعالى.

المبحث الثالث: الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وختمت البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

هذا وأرجو أن يكون بحثي إضافةً علميةً في المكتبة القرآنية، كما أرجو أن أكون قد أعطيت الموضوع حقه من البحث والدراسة بما يتناسب مع أهميته، وبالله التوفيق.

د. تهاني بنت سالم باحويرث

التمهيد

مفهوم المضامين التفسيرية

المضامين لغة: جمع مضمون، والضاد والميم والنون أصل صحيح، وهو جعل الشيء في شيء يحويه، يقال: ضمِن الشيء بمعنى تضمّنه، وضمِنْت الشيء إذا جعلته في وعائه، والمضامين: ما في بطون الحوامل.(٣)

والمضمون هو المحتوى، ومضمون الكلام فحواه وما يُفهم منه، يقال: فهمت ما تضمّنه كتابك أي: ما اشتمل عليه وما كان في ضمنه.(٤)

المضامين التفسيرية لآيات القرآن الكريم: ما اشتملت عليه الآيات من المعاني والموضوعات والتوجيهات، والإرشادات والدلالات وغير ذلك، حسب الوسع والطاقة.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، (٩١١/٢)، تهذيب اللغة، الأزهري، (٣٦/١٢)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٧٢/٣)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٥٨/١٣).

(٤) ينظر: الصحاح، الفارابي، (٢١٥٥/٦)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٦١/١٣).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

المبحث الأول: بيان معنى الآية ومناسبتها لآيات السورة:

المطلب الأول: بيان معاني مفردات الآية:

{شَهِدَ ٱللَّهُ}: الشين والهاء والدال أصل واحد يدل على حضور وعِلم وإعلام، ومنه الشهادة[٥]، وقد اختلف المفسرون والعلماء في معنى شهادة الله لنفسه على قولين:

القول الأول: أن الشهادة بمعنى الإخبار والإعلام والإظهار والبيان، فالله سبحانه تعالى تكلم بهذه الشهادة ونصَب الأدلة عليها، قبل خلْق الخلق.[٦]

القول الثاني: أن شهادة الله لنفسه بالوحدانية تعني نصْب الأدلة على توحيده في الأنفس والآفاق، فيكون الوصف بالشهادة مجازياً على سبيل الاستعارة.[٧]

وقد صحح ابن تيمية جميع الأقوال وقبِل بها، قال رحمه الله: " وشهادة الرب وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارة وبفعله تارة، فالقول هو ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه وأوحاه إلى عباده، .....، وأما شهادته بفعله فهو ما نصَبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تُعلم دلالتها بالعقل ".[٨]

---

(٥) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢١١/٣).

(٦) ينظر: تفسير التستري، (ص٤٧)، جامع البيان، الطبري، (٢٧١/٦)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٣٨٥/١)، بحر العلوم، السمرقندي، (٢٠٠/١)، الكشف والبيان، الثعلبي، (٣٢/٣)، التفسير الوسيط، الواحدي، (٤٢٠/١)، تفسير القرآن، السمعاني، (٣٠١/١)، تفسير الراغب الأصفهاني، (٤٦٣/٢)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤١٢/١)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤٢/٤)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٩٤/٥)، السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٢٠٢/١)، محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٥/٢)،

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٦/٢)، روح المعاني، الألوسي، (١٠١/٢)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٤)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٦/٣).

(٨) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧٣/١٤)، ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (١٦٨/٧)، مدارج السالكين بين منازل إياك

د. تهاني بنت سالم باحويرث

{أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}: أي لا معبود بحق إلا الله، " وإنما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نَفْيَ ما أضافت النصارَى الذين حاجُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من البنوّة، وما نسب إليه سائرُ أهل الشرك من أنّ له شريكًا، واتخاذهم دونه أربابًا. فأخبرهم الله عن نفسه أنه الخالقُ كلّ ما سواه، وأنه ربّ كلِّ ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربًّا دونه ".(٩)

{وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ}: هم عالم غيبي خلقهم الله من نور، عباد مكرمون، مجبولون على طاعة الله تعالى، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

{وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ}: ذكر المفسرون في بيان المراد بأهل العلم في الآية أقوالاً:

الأول: بأنهم الأنبياء.(١٠)

الثاني: بأنهم المهاجرون والأنصار.(١١)

الثالث: بأنهم المؤمنون.(١٢)

الثالث: بأنهم علماء مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه.(١٣)

نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٤٢١/٣)، نظم الدرر، البقاعي، (٢٨٨/٤)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٣/١).

(٩) جامع البيان، الطبري، (٢٧١/٦)، ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٠/٢)، محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٥/٢).

(١٠) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٤٢٠/١)، مدارك التنزيل، النسفي، (٢٤٢/١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

(١١) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٤٢٠/١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

(١٢) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (٢٠٠/١).

(١٣) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٤٢٠/١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

الرابع: بأنهم جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا الله بالأدلة النقلية والعقلية.(١٤)

ورجح بعضهم " أنهم من جاء وصفهم في القرآن بخشية الله تعالى في قوله سبحانه: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} [سورة فاطر:٢٨]، وهم الذين وصفهم الله تعالى بالتوحيد والإخلاص في قوله سبحانه: {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ} [سورة آل عمران:٧]، وهم المعنيون بقوله تعالى: {وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ} [سورة النساء:٦٩] ".(١٥)

والراجح أنها شهادة تشمل جميع أهل العلم من الخلق، لذا قال سبحانه في شأن أهل الجهل من الكفار: {مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾} [سورة الكهف:٥١]، ولا شك في أن الأنبياء والرسل من أهل العلم، فهم يدخلون في المعنى دخولاً أولياً.

والعلم المراد به هنا: العلم النافع الذي يدفع صاحبه إلى الوصول إلى الحق والشهادة به، قال ابن رجب الحنبليّ رحمه الله: " قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النّافع وذكر العلم تارة في مقام الذّمّ وهو العلم الّذي لا ينفع، فأمّا الأوّل فمثل قوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ} [سورة الزمر:٩]، وقوله: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(١٤) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٤٢٠/١)، مدارك التنزيل، النسفي، (٢٤٢/١)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤٨/١٦)، نظم الدرر، البقاعي، (٢٩٠/٤)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

(١٥) المفردات، الراغب الأصفهاني، (ص٤٦٧).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ} [سورة آل عمران:١٨]، وقوله: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا} [سورة طه:١١٤]، وقوله: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} [سورة فاطر:٢٨]". (١٦)

والمرادُ: الخبرُ عن شهادة من ارتضاهم سبحانه من خلقه فقدّسوه من ملائكته وعلماء عباده، فأعلم سبحانه المخاطبين أن ملائكته التي يعظِّمها العابدون غيره من أهل الشرك ويعبدُها الكثير منهم، وأهل العلم منهم، منكرون ما هم عليه مقيمون من كفرهم وقولهم في عيسى عليه السلام، وقول من اتخذ ربًّا غيره من سائر الخلق، فقال: شهدت الملائكة وأولُو العلم أنه لا إله إلا هو، وأن كل من اتخذ ربًّا دون الله فهو كاذبٌ، احتجاجًا منه لنبيّه عليه الصلاة والسلام على الذين حاجُّوه من وفد نجران في عيسى عليه السلام. (١٧)

أما معنى شهادة الملائكة وأولي العلم فاختلف المفسرون فيها على قولين:

الأول: إن شهادة الملائكة وأولي العلم تعني إخبارهم بأن الله هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده دون سواه، واحد لا شريك له، وبيانهم ذلك، فالملائكة بيّنوه للرسل، والرسل بيّنوه للعلماء، والعلماء لعامة الخلق. (١٨)

الثاني: إن شهادتهم تعني إقرارهم وإيمانهم بذلك، واحتجاجهم على ذلك بالأدلة التكوينية والتشريعية. (١٩)

واختار جماعة من العلماء والمفسرين الجمع بين القولين، فقالوا: إن شهادة الملائكة وأولي العلم تتضمن المعنيين، فشهادتهم إقرار وإعلام. (٢٠)

---

(١٦) بيان فضل علم السلف على علم الخلف، ابن رجب الحنبلي، (ص١٩).

(١٧) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٧٢/٦).

(١٨) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (١٦٨/٧)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ١٢٤)

(١٩) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٣٢/٣)، المفردات، الراغب، (٤٢٠/١)، البحر المحيط، أبو حيان، (٦٠/٣)، اللباب، ابن عادل، (٩٤/٥)، السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٢٠٣/١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢)، روح المعاني، الألوسي، (١٠١/٢)، محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٥/٢).

(٢٠) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٧٢/٦)، التفسير الكبير، الرازي، (١٦٨/٧)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٧٣/١)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٤٣٩/٣)، التحرير والتنوير، ابن عاشور،

د. تهاني بنت سالم باحويرث

{قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ}: في اللغة: القيّوم والقيّام والمدبّر واحد، أي: القائم على كل شيء [٢١]، والقسط العدل [٢٢]، والمعنى: القائم بالعدل في جميع أموره، المدبّر له، المتعهد لأسبابه [٢٣]، " يقال: فلان قائم بهذا الأمر، أي: يجريه على الاستقامة في جميع الأمور" [٢٤]، ويتكفل به [٢٥]، ويقال: فلان قائم بأمر فلان، أي متعهد لشأنه ومدبر لأمره، ويقال: فلان قائم بحق فلان، أي: مجازٍ له، فالله تعالى متعهد لأمور عباده، ومدبر لأرزاقهم وآجالهم، وإحصاء أعمالهم للجزاء [٢٦]، ومثله قوله تعالى: {أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ} [سورة الرعد:٣٣]، أي: متولياً لأمور خلقه بالعدل والجزاء [٢٧]، ويشمل ذلك تكفّله سبحانه بإرسال الرسل وإنزال الكتب على عباده، فهو سبحانه يتولى أسباب هدايتهم.

(١٨٦/٣)،

(٢١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (٢٦٨/٩).

(٢٢) ينظر: المرجع السابق، (٢٩٨/٨).

(٢٣) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٣٤/٣)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧٥/١٤)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

(٢٤) التفسير الوسيط، الواحدي، (٤٢١/١)، ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (١٧٠/٧).

(٢٥) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، (٣٧٩/١).

(٢٦) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٤٢٠/١).

(٢٧) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، (١٧/٣)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٧/٣)، (١٥٠/١٣)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤١٨).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

والقسط العدل الذي لا ظلم فيه بوجه من الوجوه من قولهم: مُقسط أي عادل، وقد أقسط إذا عدل[٢٨]، ومنه قوله تعالى: {وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا} [سورة الأنبياء:٤٧][٢٩]، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [سورة المائدة:٤٢][٣٠].

ومن معاني قيامه سبحانه بالعدل في الآية: أي قائما بالعدل في كل شيء[٣١]، فهو سبحانه لم يزل متصفا بالعدل في جميع أفعاله، وتدبيره بين عباده، وتقسيمه أرزاقهم وآجالهم، عدل في حسابهم وإثابتهم وعقابهم، عدل في أمره ونهيه وتكليفه سبحانه.[٣٢]

{ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}:

معنى اسم الله العزيز: في اللغة: العين والزاي أصل واحد، يدل على شدة وقوة، وما في معناها من غلبة وقهر، ومعناه في حق الله تعالى: أنه الغالب القوي[٣٣]، " الذي لا يمتنع عليه شيء أراده، ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه "[٣٤]، فهو المنيع الذي لا يُنال ولا يطالب، ولا يُرام جنابه لعزته وعظمته وكبريائه سبحانه.[٣٥]

---

(٢٨) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٧٠/٦)، بحر العلوم، السمرقندي، (٢٠٠/١)، الكشف والبيان، الثعلبي، (٣٤/٣)، التفسير الوسيط، الواحدي، (٤٢١/١)، تفسير القرآن، السمعاني، (٣٠٢/١)، نظم الدرر، البقاعي، (٢٩١/٤).

(٢٩) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٧/٣).

(٣٠) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، (٣٠٢/١).

(٣١) ينظر: تفسير مقاتل، (٢٦٧/١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

(٣٢) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي، (٢٤٢/١)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٤).

(٣٣) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٨/٤).

(٣٤) جامع البيان، الطبري، (٢٧١/٦).

(٣٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٠/٢).

معنى اسم الله الحكيم: في اللغة: الحاء والكاف والميم أصل واحد، يدل على المنع والإتقان وإصابة الحق [٣٦]، ومعناه في حق الله تعالى: الحكيم في تدبيره فلا يصيبه الخلل [٣٧]، الحكيم في قضائه بين عباده [٣٨]، والحكيم في أقواله وأفعاله يضع الأشياء في مواضعها [٣٩]، فهو محكمٌ للأشياء متقنٌ لها سبحانه.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للآية:

اشتملت الآية على الدلالة على وحدانية الله المنافية للشرك، وعلى عدله سبحانه المنافي للظلم، وعزته جل وعلا المنافية للعجز، وحكمته تبارك وتعالى المنافية للجهل والشطط. [٤٠]

فافتتحت الآية باسمه تعالى، والثناء عليه سبحانه بأنه الإله الحق ولا معبود سواه، فشهد الله لنفسه سبحانه بالتوحيد في الآية، وشهد له بذلك الملائكة وأولو العلم، كما اشتملت الآية على إثبات صفتي القيومية والعدل له سبحانه، فالله " قائم بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله " [٤١]، لم يزل سبحانه متصفاً بالعدل في تدبيره أمور عباده، وشهادة الملائكة وأولو العلم تتضمن ذلك، فهي شهادة لله بأنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط [٤٢]،

---

(٣٦) ينظر: شمس العلوم، الحميري، (١٥٣٥/٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجزري، (٤١٩/١)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٩١/٢).

(٣٧) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٧١/٦).

(٣٨) ينظر: المرجع السابق، (٢٦٢/٥).

(٣٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦٧/٤).

(٤٠) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٤٢٧/٣).

(٤١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٤٢٣/٣).

(٤٢) هذا اختيار ابن تيمية وقول جمهور من المفسرين، لأن إعراب قائما: حال من الضمير (هو)، والمعنى: لا إله إلا هو حال كونه قائما بالقسط. ينظر: تفسير مقاتل، (٢٦٧/١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٤/٢)، مدارك التنزيل، النسفي، (١٠٢/٢)، فتوح الغيب، الطيبي، (٥٢/٤)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧٥/١٤)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد

ثم أعادت الآية تقرير التوحيد لله تعالى، وأثبتت صفتي العزة والحكمة له سبحانه، فهو قادرٌ قويٌ قاهرٌ لا يمتنع شيء على إرادته، عالمٌ خبيرٌ ذو الحكمة البالغة في أقواله وأفعاله، فأبطلت الآية شرك العرب ومكر اليهود وباطل النصارى.

المطلب الثالث: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها من آيات:

مناسبة الآية لما قبلها:

جاءت الآية متناسبة مع موضوع السورة، وهو إثبات التوحيد لله تعالى ورد شبهات النصارى [٤٣]، فإن الله تعالى لما أخبر عن وحدانيته في أول السورة واستدلّ عليها، وأخبر عن المشركين وما نسبوه إليه من الشركاء، وعما أعدّه لهم واستدل عليه بما دل على الوحدانية، وختم سبحانه بالإخبار عن المؤمنين وبعض صفاتهم، أردف ذلك سبحانه بهذه الآية المؤكدة على وحدانيته تعالى بما فيها من شهادته وشهادة ملائكته وأولي العلم من خلقه على التوحيد، وبما فيها من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي تقتضي إثبات هذه الوحدانية له سبحانه [٤٤]، فالآية جاءت مؤكدة "ما افتتحت به السورة من قوله: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ} [سورة آل عمران:٢-٣] ".[٤٥]

كما أن ختام الآية: {ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} ملائم للآيات السابقة وما فيها من تقريعٍ للكافرين وأباطيلهم.[٤٦]

وغياك نستعين، ابن القيم، (٤٢٦/٣)، نظم الدرر، البقاعي، (٢٩٠/٤)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٧/٣).

(٤٣) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (٦٧/٢).

(٤٤) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (١٦٨/٧)، نظم الدرر، البقاعي، (٢٨٧/٤).

(٤٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٦/٣).

(٤٦) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، (٢٩١/٤).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

مناسبة الآية لما بعدها:

جاءت الآية استئنافاً وتمهيداً للآية بعدها، فإن الله تعالى لما قرر سبحانه أنه الإله الحق، المعبود وحده دون سواه، بيّن الدين الذي يجب أن يُعبد به سبحانه فقال: {إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ} [آل عمران: ١٩]، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والطاعة، والخلوص من شوائب الإشراك [٤٧]، وفيه تعريضٌ بالمشركين وبالنصارى واليهود، مع تفاوتهم في مراتب الإشراك.[٤٨]

المبحث الثاني: موضوعات الآية:

المطلب الأول: بيان حقيقة التوحيد:

تناولت الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد الخالص، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة دون أن يكون له شريك في ذلك سبحانه، وقد جاء هذا الإخبار بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادة الله جلّ ثناؤه وكفى به شهيداً، فبدأ بنفسه سبحانه تعظيماً لنفسه، وتنزيهاً لها عما نسبه أهل الشرك من اتخاذ الشريك معه سبحانه، كما جاء في الآية الإخبار عن حقيقة التوحيد بشهادة الملائكة وأولي العلم وهم خواص الخلق [٤٩]، وإخبار الله تعالى بهذا يتضمن الأمر به وإلزام العباد بتوحيده.[٥٠]

وهذا هو الموضع الوحيد من كتاب الله تعالى الذي يذكر شهادة الله لنفسه وشهادة الملائكة وأولي العلم له سبحانه بأنه لا إله إلا هو، التي هي أعظم كلمة، ومن أجلها خلق الله الخلق، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

(٤٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ١٢٤)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٦/٣).

(٤٨) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٦/٣).

(٤٩) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٧١/٦)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ١٢٤).

(٥٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٤١٩/٣)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ١٢٤).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [سورة الذاريات:٥٦]، وأرسل الرسل، فهي أول بعثة الرسل، وأول ما يدعون إليه، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ} [سورة النحل:٣٦]، وهي مفتاح الجنة، وشرط قبول العمل، وعليها يكون الثواب والعقاب، " فهي الشهادة التي إليها قصد القاصدون وسلك السالكون، وإليها انتهت الإشارة، وعندها وقفت العبارة، وهي أنهى المقامات وأعظم الشهادات، فمن شهد بها فقد شهد شهادةً ليس وراءها مرمى، ومن شهد بما دونها كانت شهادته مشهوداً عليها لا شهادة ".(٥١)

وقد دلت الأدلة النقلية والعقلية على هذا التوحيد، فكل ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الأمر بهذا التوحيد وتقريره، والنهي عن الشرك وذم أهله فهو من الأدلة النقلية، وأما الأدلة العقلية فهي كثيرة، أرشد إليها القرآن في آياته ونبّه عليها، منها: انفراد الله تعالى بالخلق والرزق والتدبير، ومنها ما أخبر به سبحانه عن نفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، التي تدفع من عرفها حق المعرفة إلى صرف العبودية له وحده دون ما سواه.

المطلب الثاني: بيان فضل الملائكة:

قرن الله شهادته بشهادة الملائكة على وحدانيته تعالى في الآية تعظيماً لشهادتهم، فالملائكة يشهدون بأن الله هو الإله الحق، وأنه لا معبود سواه، وقد دلت الآيات في القرآن الكريم على ذلك، قال تعالى: {ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾} [سورة البقرة:٢٨٥]، وقال سبحانه مؤكدا على ذلك: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ

(٥١) نظم الدرر، البقاعي، (٤/٢٨٩).

وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾} [سورة الأنبياء:٢٦-٢٧]، وقد جاء ذكر شهادتهم أولاً قبل شهادة أهل العلم في الآية، لعدة أمور:

- لكونهم الملأ الأعلى، فجاء تقديم شهادتهم على شهادة البشر لهذا الاعتبار.
- وقيل: لأن شهادتهم كانت على علمٍ ضروري وقع لهم بغير اكتساب، وهو خلاف علم البشر، وهو العلم النظري الذي يحتاج إلى استدلالٍ ودراسةٍ للوصول إلى معناه [٥٢]، فجاء تقديمهم على أولي العلم " لأن المقام للعلم لمن هم أعلم به سبحانه وتعالى ممن أطلعهم من الملك والملكوت على ما لم يطلع عليه الإنسان ولا شاغل لهم من شهوةٍ ولا حظٍ ولا فتور ".[٥٣]
- وقيل: لأن الملائكة واسطة بين الله ورسله، فناسب ذكرهم في الوسط بينهما في الآية.[٥٤]

المطلب الثالث: بيان فضل العلم وأهله:

قرن الله شهادة أولي العلم بشهادته سبحانه وشهادة ملائكته في الآية، وفي تخصيص الله لهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه، أنه لا إله إلا هو سبحانه، دون غيرهم من الخلق إشارة إلى فضل العلم وأهله، قال تعالى مبيّناً مكانة العلماء ومنزلتهم ورفيع درجتهم: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾} [سورة المجادلة:١١]، وقال سبحانه مبيّناً بأنهم أهل خشيته: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [سورة فاطر:٢٨]، وقد أمر الله نبيه أن يدعوه بقوله:

---

(٥٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٦٠/٣)، نظم الدرر، البقاعي، (٢٩٠/٤)، محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٦/٢).

(٥٣) نظم الدرر، البقاعي، (٢٩٠/٤).

(٥٤) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٦/٢).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [سورة طه:١١٤]، ولو "كان شي أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم" (٥٥)، قال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" (٥٦)، " وهذا شرفٌ للعلماء عظيم، ومحلٌ لهم في الدين خطير". (٥٧)

المطلب الرابع: إثبات صفة القيومية لله تعالى:

---

(٥٥) الجامع لأحكام القران، القرطبي، (١/٤١)، ينظر: اللباب، ابن عادل، (٥/٩٥)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٥)

(٥٦) رواه أبو الدرداء رضي الله عنه، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢١٧١٥)، (٣٦/٤٥)، وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣)، (١/٨١)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم، حديث رقم (٣٦٤١)، (٣/٣١٧)، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢)، (٥/٤٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: العلم، حديث رقم (٨٨)، (١/٢٨٩)، وأخرجه البيهقي في كتاب الآداب، باب: من غدا وراح في تعلم الكتاب والسنة، حديث رقم (٨٦٢)، (ص٣٤٨)، قال الترمذي في سننه: " يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن الوليد بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم " (٥/٤٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله موثقون، (١/١٢٦).

والحديث له شواهد في الصحيحين، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"، كتاب العلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم (٢٦٩٩)، (٤/٢٠٧٤)، وعبارة: " إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ " ذكرها البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل، (١/٢٤).

(٥٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤/٤١).

المضامين التفسيرية في قول الله تعالى: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾}

د. تهاني بنت سالم باحويرث

القيوم اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، جاء وروده في القرآن الكريم في عدة مواضع، قال تعالى: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾} [سورة آل عمران:٢]، وقال تعالى: {۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ} [سورة طه:١١١]، ويؤخذ منه صفة القيومية له سبحانه، وقد جاء إثبات هذه الصفة في الآية في قوله تعالى: {قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ}، ويشمل معنى القيومية لله تعالى أمرين:

الأول: أن سبحانه قائمٌ بذاته، غني عن خلقه دائم لا يزول.

الثاني: أنه سبحانه المقيم لغيره، بتدبيره وتصريفه وإنعامه عليهم.

فهي صفة تتضمن كمال غناه سبحانه عما سواه، فهو القائم بنفسه غير محتاجٍ لغيره، وتتضمن كمال قدرته وعزته، فهو المقيم لغيره، ولا قدرة لغيره على القيام بدونه تبارك وتعالى.(٥٨)

وقد اختلف المفسرون في كون الشهادة على التوحيد متضمنة الشهادة على القيام بالقسط أو غير متضمنة لذلك، على قولين:

الأول: أن قائماً نصب على الحال من الفاعل شهد، والمعنى: شهد الله قائماً بالقسط أنه لا إله إلا هو، وشهادة الله هنا تتضمن تكلّمه بها سبحانه بالعدل، وأمره بها، ومجازاته عليها، أي أن الله يشهد وهو قائم بالعدل عالم به لا بالظلم أنه وحده المستحق للعبادة دون سواه.(٥٩)

الثاني: أن قائماً نصب على الحال من الضمير هو، والمعنى: شهد أنه لا إله إلا هو حال كونه قائماً بالقسط، وهذا يتضمن شهادة الله وملائكته وأولو العلم بأنه لا إله إلا هو وأنه قائمٌ بالقسط، لأن قائماً كانت حالاً من

---

(٥٨) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، (ص١٩١).

(٥٩) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٢٧١/٦)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤١٣/١)، التفسير الكبير، الرازي، (١٧٠/٧)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧٥/١٤)، البحر المحيط، أبو حيان، (٦٢/٣)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢)، فتح القدير، الشوكاني، (٣٧٣/١).

المشهود به، وإذا وقعت الشهادة على ذات الحال وصاحبها كان كلاهما مشهوداً به، وهذا اختيار ابن تيمية وقول جمهور من المفسرين (٦٠)، وهو أرجح وأبلغ من القول الأول.

المطلب الخامس: إثبات صفة العدل لله تعالى:

العدل صفة من صفات الله تعالى، وقد جاء إثبات صفة العدل لكلامه جل وعلا، قال تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾} [سورة الأنعام:١١٥]، وبينت كثير من آيات الكتاب مظاهر عدله سبحانه، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾} [سورة الدخان:٣٨-٣٩]، فجميع أفعاله سبحانه تقع بمقتضى عدله، وقال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ} [سورة البقرة:٢٨٦]، فهو سبحانه عدل فيما افترضه على عباده وكلّفهم به، وقد جاء إثبات صفة العدل لله تعالى في الآية، فإنه سبحانه لما قرر توحيده قرر عدله (٦١)، ولما بيّن كماله في ذاته سبحانه أردفه ببيان كماله في أفعاله تبارك وتعالى (٦٢)، قال تعالى: {قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ}، أي بالعدل، ويشمل معنى العدل في حق الله تعالى أموراً:

---

(٦٠) ينظر: تفسير مقاتل، (٢٦٧/١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٤/٢)، مدارك التنزيل، النسفي، (١٠٢/٢)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧٧/١٤)، فتوح الغيب، الطيبي، (٥٢/٤)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٤٢٦/٣)، نظم الدرر، البقاعي، (٢٩٠/٤)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٧/٣).

(٦١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٤).

(٦٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

الأول: العدل في حكمه بين عباده.(٦٣)

الثاني: العدل في تقديره وتدبيره سبحانه، قال تعالى على لسان هود عليه السلام: {إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾} [سورة هود:٥٦]، " فأخبر أن الله على صراط مستقيم وهو العدل الذي لا عوج فيه "(٦٤)، " فإن الاستقامة والاعتدال متلازمان فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيماً، ومن كان قوله وعمله مستقيماً كان قائماً بالقسط ".(٦٥)

الثالث: العدل عند الحساب، قال تعالى: {وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا} [سورة الأنبياء:٤٧]، فيجازى الناس بحسب أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

الرابع: إن الحساب والجزاء لا يكون إلا بعد قيام الحجة على العباد، وهذا من عدل الله تعالى، قال سبحانه: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾} [سورة الإسراء:١٥].

الخامس: إن الله تعالى أمر بالعدل في الأحكام، قال سبحانه: {۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل:٩٠]، وقال: {۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ} [سورة النساء:٥٨].

---

(٦٣) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، (ص١٨٥).

(٦٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٤/١٧٧).

(٦٥) المرجع السابق، (١٤/١٧٩)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٤).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

وقد جاء الجمع بين التوحيد والعدل في الآية، فدلت على تلازمهما [٦٦]، فهما " جماع صفات الكمال، فإن التوحيد يتضمن تفرده سبحانه بالكمال والجلال، والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه، والعدل يتضمن وقوع أفعاله كلها على السداد والصواب، وموافقة الحكمة "[٦٧]، وقد جاء هذا الجمع في القرآن الكريم في عدة مواضع، قال تعالى: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾} [سورة النساء:٨٧]، فقوله سبحانه: {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ} إشارةً إلى التوحيد، وقوله: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ} إشارةً إلى العدل، ومثله قوله تعالى: {إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾} [طه: ١٤] فيه إشارةٌ إلى التوحيد، ثم أشار سبحانه بعدها إلى العدل في قوله: {إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾} [طه: ١٥][٦٨]، فالله تبارك وتعالى على صراط مستقيم في قوله وفعله، قال تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: {إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾} [سورة هود:٥٦]، "فالصراط المستقيم الذي عليه ربنا تبارك وتعالى: هو مقتضي التوحيد والعدل "[٦٩]، " ولهذا أمرنا الله سبحانه أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وصراطهم هو العدل والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط، والصراط المستقيم هو العمل بطاعته وترك معاصيه، فالمعاصي كلها ظلم مناقض للعدل مخالف للقيام بالقسط والعدل "[٧٠].

(٦٦) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (١٠/١٦٧).

(٦٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/٤٢٣).

(٦٨) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (١٠/١٦٧).

(٦٩) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/٤٢٥).

(٧٠) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٤/١٧٩).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

المطلب السادس: إثبات صفتي العزة والحكمة لله تعالى:

العزيز الحكيم: اسمان من أسماء الله تعالى تكرر ورودهما مقترنين في القرآن الكريم في نحو ستة وأربعين موضعاً، قال تعالى: {وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾} [سورة المائدة:٣٨]، وقال سبحانه: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾} [سورة الأنفال:٦٧]، وقال: {إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾} [سورة آل عمران:٦٢]، وقال: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾} [سورة الحديد:١]، ويؤخذ منهما صفتي العزة والحكمة لله تعالى، والعزة: تتضمن كمال القدرة والقوة والقهر، والحكمة: تتضمن كمال العلم والخبرة، فهاتين الصفتين مصدر الخلق والأمر، وبهما يقضي سبحانه ما يشاء، ويأمر وينهى، ويثني ويعاقب [٧١]، " لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد، فاسمه: العزيز يتضمن الملك، واسمه: الحكيم يتضمن الحمد، وأول الآية يتضمن التوحيد، وذلك حقيقة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ". [٧٢]، كما أن اقتران الاسمين الكريمين دالّ على كمال آخر، فعزته سبحانه لا تقتضي جوراً وظلماً وسوء فعل، وحكمته سبحانه مقرونة بالعز الكامل، بخلاف ما قد يكون من المخلوقين، وما يعتريه من ظلم وذل. [٧٣]

(٧١) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، (ص ١١٦)، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٤٢٧/٣).

(٧٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٤٢٧/٣).

(٧٣) ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين، (ص ٨).

وقد ذكرت من معاني صفة العزة لله تعالى: عزة القوة، وعزة القهر والغلبة، وعزة الامتناع، فهو سبحانه قهر جميع الموجودات، ودان له كل شيء وخضع لعظمته، وممتنعٌ أن يناله شيء سبحانه [٧٤]، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾} [سورة النساء:١٣٩]، وقال سبحانه: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا} [سورة فاطر:١٠].

كما أن حكمته سبحانه تعني: " حكمه وعلمه وحكمته فيما يقوله ويفعله، فإذا أمَر بأمْر كان حسناً، وإذا أخبر بخبر كان صدقاً، وإذا أراد خلق شيء كان صواباً، فهو حكيمٌ في إراداته وأفعاله وأقواله"[٧٥]، فحكمة الله تعالى تتضمن:

-إحكام الشيء وإتقانه، فهو موصوفٌ بكمال الحكمة في خلقه وشرعه سبحانه، فقد أحسن كل شيء خلقه جل وعلا، وجاءت شرائعه مشتملةً على كل ما فيه صلاح وخير ومصلحة العباد.

-الحكم بين عباده بالحق، فهو موصوفُ بكمال الحكم بين المخلوقات.[٧٦]

فهو الله الواحد الأحد، المستحق للعبادة وحده دون سواه، العزيز الذي لا يمتنع على إرادته شيء سبحانه، يحكم ويقضي ويقول ويفعل وفق حكمته تبارك وتعالى.

المبحث الثالث: الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية:

١- تقديم اسم الله تعالى والبدء به في الآية دليلٌ على التبرك باسمه سبحانه وتقديم اسمه في الأمور ذات الشأن.[٧٧]

(٧٤) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٤/١٨٠)، تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، (ص ٢١٤).

(٧٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٤/١٨٠)، ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٢٠).

(٧٦) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، (ص ١٨٦).

(٧٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٣/٤٠).

٢- كما يدل تقديم اسم الله تعالى في الآية على تأديب الله لعباده، حيث سنّ لهم أن يبدؤوا بذكره في جميع أمورهم قبل ذكر غيره.(٧٨)

٣- وبدأ سبحانه بنفسه في الآية للدلالة على تعظيم نفسه، وتنزيهه سبحانه لها عما نسب إليها من الباطل من أهل الشرك.(٧٩)

٤- وفيه دلالةٌ على أن شهادة الله أعظم شهادة، تليها شهادة الملائكة وأولي العلم.

٥- دلّت الآية على أن الله وحده المستحق للعبادة دون سواه، ونفت استحقاق غيره سبحانه للعبودية.(٨٠)

٦- لم تُذكر شهادة الله تعالى في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، وفيه دلالةٌ على أن المشهود به أعظم مطلوب، وأشرف معلوم، وأشد ما ينبغي العناية به، فالله تعالى شهد بنفسه على وحدانيته، وأشهد عليه خواصّ خلقه.(٨١)

٧- يستفاد من ذلك وجوب الشهادة لله بالتوحيد الخالص من الشرك، وإلزام العباد بذلك، بدلالة شهادة الله لنفسه وكفى به شهيداً، وبدلالة ما تتضمنها هذه الشهادة من معاني الإخبار والإعلام بقوله وفعله سبحانه، وبدلالة شهادة الملائكة وأولي العلم.(٨٢)

٨- في شهادة الله لنفسه بالتوحيد تنبيهٌ لعباده على غناه سبحانه عن توحيدهم وعبادتهم، وأنه الموحّد نفسه بنفسه سبحانه.(٨٣)

---

(٧٨) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٦/٢٧١).

(٧٩) ينظر: المرجع السابق.

(٨٠) ينظر: المرجع السابق، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/٤٢٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٢٠).

(٨١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ١٢٤).

(٨٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/٤٢٣).

(٨٣) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٢/٢٩٦)، الانتصار للقرآن، الباقلاني، (٢/٧٤٤).

٩- شهادة المدعي على دعواه لا تقتضي الزيادة، لكن شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو دلّت على إتقان صنعه سبحانه في الكون، وعجيب تدبيره، فقامت دلالة أفعاله سبحانه مقام الشاهد على وحدانيته.(٨٤)

١٠- تفيد شهادة الله لنفسه بالتوحيد الشهادة على صدق نبيّه صلى الله عليه وسلم فيما يدعو إليه، وفي هذا تثبيتٌ لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وإيناسٌ لوحشته.(٨٥)

١١- يدل الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف بقوله تعالى في الآية: {أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} على مزيد الاعتناء بذكر المفعول.(٨٦)

١٢-كما أن في الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف دلالة على التفاوت الحاصل في درجات المتعاطفين.(٨٧)

١٣- تفيد الآية أن العلم من لوازم الشهادة، " لأن الشاهد هو العالم الذي يبيّن ما علِمه، فالله عز وجل قد دلّ على توحيده بجميع ما خلق، فبيّن أنه لا يقدر أحد أن ينشئ شيئاً واحداً مما أنشأ، وشهدت الملائكة لِما علمت من قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وتبيّن من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره ".(٨٨)

١٤- يستفاد من شهادة الله بالفعل وما نصبه سبحانه من أدلة على وحدانيته في الأنفس والآفاق التأكيد على إثبات المطلوب وإنكار ما نسبه إليه المشركون.(٨٩)

---

(٨٤) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، (٤٦٤/٢)، الانتصار للقرآن، الباقلاني، (٧٤٤/٢).

(٨٥) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، (٤٦٥/٢).

(٨٦) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٦٠/٣).

(٨٧) ينظر: المرجع السابق.

(٨٨) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٣٨٥/١).

(٨٩) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٦/٢).

١٥- دلّ تكرار لفظ التوحيد (لا إله إلا هو) في الآية على التأكيد على تقرير الوحدانية لله تعالى[٩٠]، فإنه لما طال الكلام بعد تنزيه الله تعالى وتعداد الشـاهدين بها، كانت الحاجة إلى تجديد التوحيد، " ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم، كالمنقطع في الفهم مما أريد إيصاله به "[٩١].

١٦- يستفاد من تكرار لفظ التوحيد (لا إله إلا هو) وجوب الاعتناء بأدلة التوحيد ومعرفتها[٩٢].

١٧- وفي تكرار لفظ التوحيد في الآية دلالة على أن الموصوف بالعزيز الحكيم هو الله تبارك وتعالى، حيث بُني قوله تعالى: {ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} على قوله: {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} فيُعلم أنه الموصوف بهما[٩٣]، لئلا يُظن أن الموصوف بهما هما الملائكة وأولو العلم، إذ قد يوصف بهما المخلوق[٩٤].

١٨- يستفاد من هذا التكرار التعليم، فالله يعلّم عباده أن يكثروا من قولها، فإن من اشتغل بتكرارها كان مشتغلا بأفضل أنواع العبادات[٩٥]، فقد دلّ تكرار لفظ التوحيد على أن الأولى كانت وصف وتوحيد، والثانية رسم وتعليم[٩٦].

١٩- يفيد تكرار لفظ التوحيد أن الأولى حلت محل الدعوى، والثانية حلت محل الحكم[٩٧].

---

(٩٠) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي، (٢٤٢/١)، البحر المحيط، أبو حيان، (٦٥/٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٠/٢)، السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٢٠٣/١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢)، محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٥/٢)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٧/٣).

(٩١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ابن المنير، (٤١٧/١)، ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٦/٢).

(٩٢) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٢٠٣/١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

(٩٣) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (٢٠٣/١)، محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٥/٢).

(٩٤) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، (٤٦٧/٢).

(٩٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٤٧/١)، التفسير الكبير، الرازي، (١٧٠/٧).

(٩٦) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٣٤/٣)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤٣/٤)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٧٩/١٤).

(٩٧) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (٣٤/٣)، تفسير الراغب الأصفهاني، (٤٩٧/٢)، أسرار التكرار في القرآن، الكرماني،

٢٠- كما أن في تكرار لفظ التوحيد دلالة على أن الأولى إخبارٌ عن شهادة الله لنفسه بالتوحيد سبحانه وشهادة الملائكة وأولي العلم، والثانية إخبارٌ عن توحيده جل وعلا، وعليه فإن الثانية تحمل معنىً جديداً.(٩٨)

٢١- في تكرار لفظ التوحيد في الآية تأكيد على كمال سلطانه سبحانه، وأنه لا يترك الناس هملا بلا أمر ولا نهي ولا حساب ولا عقاب، فهو سبحانه بمقتضى ربوبيته وألوهيته يدبر أمر عباده، ويرسل لهم الرسل، وينزل الكتب، ويشرع الشرائع، ثم يجازيهم على أعمالهم.

٢٢- أعادت الآية لفظ التوحيد بالإضمار بدلا من قول: (لا إله إلا الله) ليكون الشاهد والمشهود له، وفيه زيادة التأكيد على قضية التوحيد وانتفاء كل ريبٍ وشكٍ في ذلك.(٩٩)

٢٣- في الآية دلالةٌ على فضل الملائكة وهم عمّار السماء، ورفعة شأن أهل العلم وهم خواصّ الخلق، فإن الله ذكر شهادته على سبيل التعظيم لشهادة من قرنهم باسمه سبحانه في الآية (١٠٠)، فأخبر سبحانه عن شهادة من يعتدّ به من خلقه سبحانه.(١٠١)

٢٤- دل تأخير قوله تعالى: {قَآئِمًۢا} عن المعطوفين الملائكة وأولي العلم على علو رتبتهما، وقُرب منزلتهما.(١٠٢)

(ص٨٨)، كشف المعاني، ابن جماعة، (ص ١٢٧)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤٣/٤).

(٩٨) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٨٠/١٤).

(٩٩) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، (٢٨٨/٤).

(١٠٠) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، (٥٩/٣).

(١٠١) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (٢٠١/١).

(١٠٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

٢٥- أفرد الله سبحانه الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومن أولي العلم ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته، وهذا دليلٌ على فضلهم حيث ارتبطت شهادتهم بشهادته سبحانه بفعلٍ واحد.(١٠٣)

٢٦- شهادة الملائكة في الآية من أخلاقهم وصفاتهم التي جُبلوا عليها، فهم يعرفون الله تعالى بصفاته ويخاطبونه سبحانه بها، قال تعالى: {قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾} [سورة البقرة:٣٢]، ويسبحون بحمده سبحانه، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾} [سورة الأعراف:٢٠٦]، ويمتثلون لأمره سبحانه ولا يعصونه، قال تعالى: {وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾} [سورة الأنبياء:٢٦-٢٧].

٢٧- دلّت الآية على فضل أهل العلم وشرف العلماء، " فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء وأكثر فضلاً منهم لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته في الآية.(١٠٤)

٢٨- تفيد الآية أن الله رفع قدر العلماء حيث استشهد الله بهم على أعظم مشهود به، وهو شهادة أن لا إله إلا هو، قال تعالى: {يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ} [سورة المجادلة:١١].(١٠٥)

---

(١٠٣) ينظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (٤٩/١).

(١٠٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤١/١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٠/٢)، اللباب، ابن عادل، (١٠١/٥)، محاسن التأويل، القاسمي، (٢٩٥/٢).

(١٠٥) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤٨/١٦)، مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (٤٨/١)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ١٢٥).

٢٩- دلّت الآية على عدالة أولي العلم وتزكيتهم فإن شهادتهم تتضمن ذلك، فإن الله لا يستشهد من خلقه الا العدول.(١٠٦)

٣٠- دلت الآية على أن أهل العلم صاروا بهذه الشهادة شهداء وحجة على الناس، فإن الله أقامهم في هذه الآية مقام الحجة.(١٠٧)

٣١- وهذا يفيد إلزام الناس باتباعهم فيما شهدوا به والعمل به، فإن الله جعل شهادتهم إثبات على وحدانيته سبحانه للمخلوقين، ولهم أجر كل من تبعهم، وذلك من فضل الله عليهم.(١٠٨)

٣٢- في تخصيص أهل العلم في الآية إفادة على أنهم المرجع في الأمور الدينية، فهم الذين يرون أن ما جاء به الرسل هو الحق من ربهم، قال تعالى: {وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾} [سورة سبأ:٦].(١٠٩)

٣٣- في الآية دلالة على دعوة أولي العلم إلى التأمل في دلائل صنع الله ليعرفوا صحة ما شهدوا به وما عرفوه وأقرّوا به من التوحيد الخالص.(١١٠)

٣٤- يفيد تخصيص أهل العلم بالذكر في الآية أنهم أكثر الناس تأثراً بما يصل إليهم من الأدلة النقلية وما يشاهدونه من الأدلة العقلية، وأسرع استجابةً، وأشد إدراكاً، وأكثر استيعاباً، لذا خصهم الله بالشهادة دون غيرهم من أصناف البشر، قال تعالى: {قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

---

(١٠٦) ينظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (٤٨/١).

(١٠٧) ينظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (٤٨/١)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٥)، كتاب العلم، العثيمين، (ص١٤).

(١٠٨) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٨٤/١٤)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٥).

(١٠٩) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤٨/١٦)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٥).

(١١٠) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، (٤٦٥/٢).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾} [سورة الإسراء:١٠٧]، وقال سبحانه: {وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾} [سورة العنكبوت:٤٣]، الحج ٥٤، وقال تعالى: {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾} [سورة آل عمران:٧].

٣٥- في تخصيص أهل العلم الذين عرفوا الله بالأدلة القاطعة بهذه الشهادة دلالة على أن شهادة من هم دونهم في العلم أدعى وأولى.(١١١)

٣٦- دلّت الآية على فضل علم أصول الدين، والترغيب في طلبه ونيل شرفه، فهو العلم الموصل إلى تأهل أصحابه لنيل شرف هذه الشهادة، بمعرفة الله حق المعرفة، وتعظيمه سبحانه وتوحيده وخشيته، ومعرفة ما يحبه ويسخطه سبحانه.(١١٢)

٣٧- دلّت الآية على أن هذه الشهادة من موجبات العلم ومقتضياته، فإنّ كل من كان ذو علمٍ فلابد أن يشهد بهذه الشهادة.

٣٨- في الآية دلالة على أنّ كل منْ لمْ يقم بهذه الشهادة ويؤديها على وجهها، فهو من أهل الجهل.(١١٣)

٣٩- وفيه دلالة على ذمّ الجهل، ويشمل عدم العلم بالحق وعدم العمل به، لذا قال تعالى في حق الجهال من الكافرين: {مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾} [سورة الكهف:٥١].

---

(١١١) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، (٤/٢٩٠).

(١١٢) ينظر: بيان فضل علم السلف على علم الخلف، ابن رجب الحنبلي، (ص٧٢)، السراج المنير، الخطيب الشربيني، (١/٢٠٣)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص١٢٥).

(١١٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/٤٣٩).

٤٠- في الآية دلالةٌ على أنّ من لمْ يصل في علم التوحيد إلى مرحلة اليقين فإنه ليس من أهل العلم، فإن الشهادة لا تكون إلا عن علمٍ ويقين.(١١٤)

٤١- في الآية دلالة على أنّ العلم من صفات المؤمنين الذين اختصهم الله ببيان آياته، والتفقه في معانيها، ومعرفة الحق والعمل به.

٤٢- في الآية دلالةٌ على أن الإسلام كرّم العقل ورفع درجته، فإن العلم الذي شرّف الله أهله في الآية لا يتم الوصول به إلا عن عقلٍ وبصيرة.

٤٣- دلّت الآية على ذمّ كتم العلم الذي أنزله الله وما فيه من الشهادة، قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾} [سورة البقرة:١٤٠]، وقال سبحانه: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾} [سورة البقرة:١٥٩].

٤٤- دلّت الآية على إثبات صفة القيومية لله تعالى.

٤٥- في إثبات القيومية لله تعالى دلالةٌ على ربوبيته سبحانه فهو مقيمٌ لغيره، مدبرٌ لشؤون خلقه، غنيٌ عن غيره جل وعلا.

٤٦- وفيه دلالةٌ على ألوهيته سبحانه، فهو القائم على كل شيء، المستحق للعبادة وحده دون سواه.

٤٧- وفيه دلالةٌ على مقام العبودية، فهو الخالق المدبر المستحق للعبادة دون سواه.

٤٨- في إثبات القيومية لله تعالى دلالةٌ على علمه وقدرته سبحانه.(١١٥)

---

(١١٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ١٢٥).

(١١٥) ينظر: تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، ابن تيمية، (٤٢٢/١).

٤٩- في لفظ القيّام دلالةٌ على القوة والثبات والاستقرار، وهو يقتضي العدل والاستقامة، فالقائم ضد الواقع وضد الزائل، والمستقيم ضد المنحرف المعوج.(١١٦)

٥٠- دلّت الآية على إثبات صفة العدل لله تعالى، وتنزيهه سبحانه عن الجور والظلم.

٥١- وفيه دلالةٌ على أن الشهادة قد تكون على غير وجه العدل، لذا ورد إثبات هذه الصفة لله تعالى بعد ذكر شهادته سبحانه لنفي الظلم عن نفسه(١١٧)، فالشهادة في الآية شهادة عدلٍ وقسطٍ من الله تعالى، وهي أعدل من كل شهادة.(١١٨)

٥٢- في إثبات صفة العدل لله تعالى دلالةٌ على إحسانه لعباده سبحانه، وهذا يتضمن قدرته ومشيئته، ويستلزم رحمته وحكمته.(١١٩)

٥٣- في إثبات صفة العدل لله تعالى إشارةٌ إلى اليوم الآخر، وتنبيهٌ على جزاء المخلصين والمشركين.(١٢٠)

٥٤- دلّت الآية على قيام الله تعالى بالقسط في هذه الشهادة قولاً وفعلاً، فالله شهد بها، وأعلم بها عباده، وألزمهم بمقتضاها، وجعل الثواب والعقاب عليها.(١٢١)

٥٥- تفيد الآية أن الله تعالى على صراط مستقيم في قوله وفعله، فإن الاستقامة والاعتدال متلازمان، فهو سبحانه يقول الحق ويفعل العدل، حكيمٌ لا يصدر عنه شيء إلا على وفق الاستقامة سبحانه.(١٢٢)

---

(١١٦) ينظر: المرجع السابق.

(١١٧) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، (٤/٢٩٠).

(١١٨) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٤/١٧٦).

(١١٩) ينظر: تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، ابن تيمية، (١/٤٢٢).

(١٢٠) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٤/١٧٧).

(١٢١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/٤٢٤).

(١٢٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٤/١٧٧)، (١٤/١٧٩)، محاسن التأويل، القاسمي، (٢/٢٩٥).

٥٦- تفيد الآية وجوب تحلّي أهل العلم بالعدل، فكما أن الله خصهم بالشهادة على توحيده سبحانه فعليهم أن يحكموا بالعدل.

٥٧- في الآية دلالةٌ على أن الشهادة المعتبرة لا تكون إلا مع علمٍ وعدل.

٥٨- يستفاد من ختم الآية بقوله تعالى: {ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}، الدلالة على وحدانيته سبحانه، لأنه لا يصح التفرد بدون هذين الوصفين، وليسا لأحدٍ سواه سبحانه.(١٢٣)

٥٩- كما أن فيه دلالةٌ على عدله تعالى، لأنه لا يقع الظلم ممن اتصف بالعزة والمنعة والحكمة.(١٢٤)

٦٠- في إثبات العزة لله تعالى إشارةٌ إلى كمال القدرة، وتنزيهه سبحانه عن الضعف.

٦٢- في إثبات الحكمة لله تعالى " إشارةٌ إلى كمال العلم؛ لأن الإلهية لا تحصل إلا معهما؛ لأن كونه قائماً بالقسط لا يتم إلا إذا كان عالماً بمقادير الحاجات، وكان قادراً على تحصيل المهمات".(١٢٥)

٦٣- في تقديم {ٱلْعَزِيزُ} على {ٱلْحَكِيمُ} في الآية دلالة على ملاءمة العزة للوحدانية التي تقتضي العزة، وملاءمة الحكمة للقيام بالقسط الذي هو من مقتضيات الحكمة، فهو سبحانه حكيمٌ عدلٌ لا يجور، فجاء ترتيب الاسمين المشتملين على الوصفين على ترتيب الوحدانية والقيام بالقسط في الآية، وهو من رد العجز على الصدر.(١٢٦)

---

(١٢٣) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، (٤/٢٩١)، السراج المنير، الخطيب الشربيني، (١/٢٠٢).

(١٢٤) ينظر: المرجع السابق.

(١٢٥) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٥/١٠١).

(١٢٦) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (١/٢٠٣).

٦٤-كما أن في تقديم {ٱلْعَزِيزُ} على {ٱلْحَكِيمُ} دلالة على أنّ العلم بكونه سبحانه قادرٌ متقدم على العلم بكونه حكيمٌ عالم، بطريق النظر في الأدلة العقلية، وهو مناسبٌ لحال المخاطبين بالآية.(١٢٧)

٦٥- في إثبات هذه الصفات الجليلة والأفعال الجميلة لله تعالى في الآية دلالة على استحقاق الله للعبادة دون ما سواه، فإن من عرف هذه الصفات حق المعرفة عرف أن العبادة لا تكون إلا لمن اتصف بها.(١٢٨)

٦٦- تفيد صفات الله الواردة في الآية وجوب ثقة العبد بربه والتوكل عليه والركون إلى جنابه، والافتقار إليه، فالله تعالى لا يمتنع عليه شيء، ويضع الأمور في مواضعها بحكمته وعدله، لا يقع منه شطط، ولا يعجز عن شيء تبارك وتعالى.

٦٧- يستفاد من صفات الله الواردة في الآية وجوب التحاكم إلى شرعه سبحانه، فهو حكيمٌ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

٦٨-كما يستفاد منها وجوب الافتقار إليه سبحانه، والتبرؤ من الحول والقوة.

(١٢٧) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (١٠١/٥)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/٢).

(١٢٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ١٢٥).

د. تهاني بنت سالم باحويرث

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من أهم نتائج هذا البحث التي توصلت إليها من خلال دراسة الآية الكريمة:

١-إن المضامين التفسيرية هي ما تشتمل عليه الآيات والسور من المعاني والموضوعات والدلالات والتوجيهات.

٢- إن آيات القرآن الكريم تزخر بالمعاني والموضوعات والهدايات التي تحتاج إلى نظر وتدبر واستنباط.

٣- اشتملت الآية الكريمة على العديد من الموضوعات، من أهمها:

-إثبات التوحيد لله تعالى.

-إثبات فضل الملائكة، وما يتضمنه ذلك من الإيمان بهم.

-إثبات فضل أهل العلم النافع.

-إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى، فقد أثبتت الآية القيومية والعدل والعزة والحكمة لله تعالى.

- الإشارة إلى اليوم الآخر وما يكون فيه من حساب وجزاء.

٤- إن شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية تتضمن بيانه وإعلامه وفعله سبحانه وتعالى.

٥- إن شهادة الله لنفسه بالتوحيد هي أعظم الشهادات على الإطلاق.

٦- إن المظاهر الكونية على اختلافها كلها دلالات على وحدانية الله تعالى واستحقاقه للعبادة سبحانه.

٧- إن أولي العلم هم أهل العلم من الخلق، ويدخل فيهم الأنبياء والرسل دخولاً أولياً.

٨- العلم الوارد في الآية هو العلم النافع الذي يؤهل صاحبه لأن يكون من أهل هذه الشهادة.

٩- شهادة الملائكة وأولي العلم لله بالتوحيد تتضمن الإقرار والإعلام.

١٠- إن الاهتمام بمعاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى معينة على تحقيق التوحيد له سبحانه، وصرف العبادة له دون سواه.

١١- إن فهم معاني أسماء الله تعالى وصفاته سبحانه يؤدي إلى استقرار النفوس وتزكيتها، وطمأنينة القلوب وإصلاحها.

١٢- جاءت الآية متناسبة مع معنى السورة العام، وهو إثبات التوحيد لله تعالى والرد على المشركين، كما جاءت الآية كالتوطئة لما بعدها فبعد أن بيّنت الآية حقيقة التوحيد الصحيح بيّنت بعد ذلك الدين الذي يجب اتباعه وهو الإسلام.

١٤- إن انتهاء الآية باسمي العزيز الحكيم فيه مناسبةٌ لما سبقها من آياتٍ تضمنت التقريع على الكافرين وآلهتهم.

التوصيات:

أوصي بإفراد أبحاثٍ متخصصة لدراسة آية أو مجموعة آيات قرآنية، وبيان معانيها، وإبراز موضوعاتها، واستنباط دلالاتها وتوجيهاتها، لما في هذا النوع من الدراسات من نفعٍ كبيرٍ في إيضاح المعاني، ومعرفة الدقائق التي لا تظهر أثناء الدراسة العامة لسور القرآن الكريم.

فهرس المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العمادي، محمد بن محمد أبو السعود، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، محمود بن حمزة، تحقيق: عبد القادر محمد، د.ط، دار الفضيلة، د.ت.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل، ب.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.
- الآداب: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الانتصار للقرآن، الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، تحقيق: محمد القضاة، دار الفتح، عمان، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، الإسكندراني، أحمد بن محمد بن المنير، ب.ط، مصر: مطبعة مصطفى البابي، ١٣٨٤هـ.
- البحر المحيط في التفسير، الأندلسي، أبو حيان محمد بن حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، ب.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، ب.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط١، بيروت: دار الأرقم.
- التفسير الكبير، الرازي، محمد بن عمر، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- التفسير الوسيط، الواحدي، علي بن أحمد، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ).

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، الجوزية، محمد بن أبي بكر بن القيم، المغرب: دار المعرفة، ط١، ١٤١٨هـ.

- السراج المنير، الخطيب، محمد بن أحمد، ب.ط، القاهرة: مطبعة بولاق، ١١٢٨٥هـ.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: أحمد عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧ هـ.

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، العثيمين، محمد بن صالح، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٢١هـ.

- الكشاف، الزمخشري، محمود بن عمرو، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

- الكشف والبيان، الثعلبي، أحمد بن محمد، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.

- اللباب في علوم الكتاب، النعماني، عمر بن علي بن عادل، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

- المحرر الوجيز، الأندلسي، عبد الحق بن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمي، ١٤٢٢هـ.

- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان الداودي، ط١، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ.

- النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، ب.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي وآخرون، ب.ط، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ

- بحر العلوم، السمرقندي، نصر بن محمد، تحقيق: محمود مطرجي، ب.ط، بيروت: دار الفكر.

- بيان فضل علم السلف على علم الخلف، الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الصميعي، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: عبيد العبيد، ب.ط، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

- تفسير التستري، التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله، جمع: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣ هـ.

- تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: عادل الشدي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

- تفسير القرآن العظيم، الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

- تفسير القرآن، السمعاني، منصور بن محمد، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخرون، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ.

- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

- تفسير مقاتل بن سليمان، البلخي، مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاتة، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ.

- تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠١م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

- جامع البيان، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

- جمهرة اللغة، الأزدي، أبو بكر محمد بن الحســـن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود بن عبد الله، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥ هـ.

- سن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون، ط٢، مصر: مطبعة مصطفى البابي، ١٣٩٥هـ.

- سنن ابن ماجه، القزويني محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: شعيب الرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ.

- سنن أبي داود، السجستاني، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد عبد الحميد، ب.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ب.ت.

- شمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، نشوان بن سعيد، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٠ هـ.

- صحيح البخاري، البخاري، محمد بن اسماعيل، تحقيق: محمد الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد، ب.ط، بيروت: دار احياء التراث العربي

- صحيح ابن حبان، التميمي، محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، ط١، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي، الحسين بن عبد الله، تحقيق: جميل عطا، ط١، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ.

- كتاب العلم، العثيمين، محمد بن صالح، تحقيق: صلاح الدين محمود، ب.ط، مكتبة نور الهدى، ب.ت.

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، الكناني، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٠هـ.

- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر، تحقيق: حسام الدين القدسي، ب.ط، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ.

- مجموع الفتاوى، الحراني، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، ب.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

- محاسن التأويل، القاسمي، محمد بن محمد، تحقيق: محمد باسل، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الجوزية، محمد بن أبي بكر بن قيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦ هـ.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبد الله بن أحمد، تحقيق: يوسف بديوي، ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ.

- مسند أحمد، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق، أحمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ.

- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، إبراهيم بن عمر، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ.

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الجوزية، محمد بن أبي بكر بن قيم، ب.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت.

- مقاييس اللغة، القزويني، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ب.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر، ب.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ب.ت.